



كانت سورية ولا زالت منطقة صراع شديد إقليمياً ودولياً، فمنذ أن رحلت تركيا عنها في العام 1917 م ما انفك فرنسا وبريطانيا صاحبتا معاهدة سايكس بيكو التي أخذت جراح الشرق بقطعه أوصاله بينهما من الصراع فيما بينهما على سورية، وانتهى هذا الصراع لصالح فرنسا بعد طرد الملك فيصل منها إلى العراق في بداية العشرينات من القرن الماضي، وبعد إعلان الاستقلال في العام 1946 م ظلت سورية محط صراع بين العراق من جهة والمملكة العربية السعودية ومصر من جهة أخرى على المستوى الإقليمي، وأمريكا والاتحاد السوفيتي على المستوى الدولي خاصة بعد دخول إسرائيل كطرف في المعادلة الإقليمية بعد إعلان قيام دولتها في العام 1948 م. حتى أن كل الانقلابات العسكرية التي عرفتها سورية في تلك الحقبة كانت من تخطيط ودعم هذه الدولة أو تلك. وكان لرجال السياسة والجيش السوريين ارتباطات مباشرة بهذه الدول وانقسموا حسب ولاءاتهم لها.

لكن تولي جمال عبد الناصر الحكم في سورية في عهد الوحدة جعل الموزين ترجح لصالح مصر التي دخلت في وحدة معها، والاتحاد السوفيتي وخاصة بعد صفقات الأسلحة التي عقدت معه لتسليح الجيشين المصري والسوسي. وقد تعمقت العلاقة أكثر فأكثر مع حكومة "الدكتاتورة" برئاسة الدكتور يوسف زعین في العام 1966 م التي كانت الأكثر قرباً من الاتحاد السوفيتي. ولم يتغير هذا الوضع كثيراً مع انقلاب حافظ الأسد في العام 1970 م الذي حافظ على علاقات سورية مع السوفييت، ولكن بنفس الوقت رعى مصالح أمريكا والغرب في المنطقة، أو كان يسير في ركابها في أكثر من موقف أو منعطف. وقد ورث الأسد ابن سياسة أبيه ولم يغير من طبيعتها في التحالفات الخارجية إلا ما طرأ، كسقوط نظام صدام حسين الذي فتح باب العلاقات الثنائية مجدداً بين البلدين بعد قطيعة طويلة دامت أكثر من ثلاثة عقود. والانسحاب من لبنان والاعتراف به تحت ضغط دولي بعد حادثة اغتيال الرئيس رفيق الحريري. والافتتاح على تركيا التي كانت علاقتها متوتة جداً معها بسبب مياه الفرات، ولواء إسكندون، والعلاقات المتميزة مع إسرائيل.

ولم يكن لطبيعة هذه التحالفات، والصراعات أن تتغير، أو أن يطرأ عليها أي تعديل يذكر لو لا رياح تسونامي الثورات العربية، والربيع العربي الذي أسقط أنظمة دول عربية كأوراق الخريف. وظن النظام السوري -على خطأ- أنه بمنأى عن هذه الرياح، كونه محسناً بجيوش المخابرات والأمن والشبيحة والفرقة الرابعة والحرس الجمهوري. إلا أن الطغاة لا تتعظ ممن سبقها من طغاة. وما أن اندلعت بوادر الثورة السورية المجيدة في مدينة درعا حتى أظهر النظام السوري وحشيته في ردتها ظناً منه أن القمع الوحشي لها سيقتلها في بيضتها. لكن الواقع خالف ظنونه وانتشرت الثورة السورية كالنار في الهشيم في

كل المدن والأرياف السورية. وإذاء هذا الوضع الذي طال أمده، وتفاقم المجازر الوحشية بحق الشعب السوري، بدأت بعض الدول المتحالفه معه تفقد صبرها بعد أن أعطته أكثر من مهلة لإصلاح وضعه وحل الأزمة المستفلة في سوريا، وعلى رأسها الدول الغربية ودول مجلس تعاون الخليج. في حين ظلت دول أخرى وعلى رأسها روسيا والصين وإيران التي ساندته ودعمته سياسياً ولو جسدياً أملاً بإنهاء هذه الثورة. وقد تحول هذا الصراع على سوريا بين هذه الدول إلى مجلس الأمن الذي فرز بشكل جلي القوى المتصارعة.

بعد استخدام الصين وروسيا الفيتو ضد قرار إدانة النظام السوري. واستدعاء أكثر من دولة أوروبية لسفيرها في دمشق، وطرد السفراء السوريين من دول الخليج وتونس. هذا الصراع المتراجع بدأت مؤشراته الأولى تشير إلى أن الخاسر الأكبر في هذه المعركة هم الحلفاء الذين أصرروا على مساندة هذا النظام؛ كروسيا والصين وإيران. وأن سقوط النظام الأسدية لم يعد محظ شاك، بل مسألة انتظار، وأن النظام الثوري الذي سيقود سوريا الغد سيعيد كل الحسابات في تحالفاته وسيعرف كيف يقدر من وقفوا مع الشعب السوري في محنته الكبرى. وسيكون للصراع أوجه مختلفة تماماً مما كانت عليه فيما سبق. ومما لا شك فيه أن تحالفات جديدة ستبرز على الساحة تتبدل معها الكثير من المعطيات القديمة.

المصدر: سوريون نت

المصادر: